

ومن أعلام الأزهر المحدث الشيخ الدكتور : محمد السماحي

كثير من الناس يجيء ويمضى دون أن يشعر به أحد . وقليل منهم يجيء فيقدم للعلم وللعلماء أجل الخدمات وسرعان ما يملأ سمع الدنيا وبصرها حين تحيطهم أجهزة الاعلام بهالة فيعلو صيتهم ويملأ الخافقين ونادر منهم من يجيء للحياة ويقضى عمره كله خادما للعلم . منقبا في بطون الكتب ليرد شبهة أو ليحقق مسألة فيكون نتيجة ذلك أسفارا ضخمة وبالرغم من كل ذلك فهو يعيش في صمت ويمضى في صمت . وهم راضون بذلك لا يبيغون بعد صيت . فقد شغلهم العلم وطلبه ونشره عن طلب الشهرة بين الناس . اذ أنهم يطلبون الجزاء من رب الناس ويبتغون رضاه لارضاهم ، وشيخنا كان من هذه الفئة النادرة فقد توفاه الله في أوائل ذى الحجة ١٤٠٤ هـ . ويشاء الله أن تكون النهاية كما يحب الرجل . فقد عاش ما عاش . وادى للعلم ما أدى وألف من الكتب ما يتزود به أساتذة العلم وسخر حياته لعلم الحديث - غير ساع لشهرة ولا راغب فيها .

لقد كان عالما لا يخشى غير الله في الحق ، ولا يبغي مثوبة من سواه . أصدق ما يقال عنه أبيات ترنم بها أمير شعراء العصر الحديث يصف فيها جلالة علماء الأزهر وعزتهم التي لا تلو عليها في الخليقة درجة . يقول :

كانوا أجل من الملوك جلالة	وأعز سلطانا وأفخم مظهرا
زمن المخاوف كان فيه جنابهم	حرم الأمان وكان ظلهم الذرا
من كل بحر في الشريعة زاهر	ويريكه الخلق الكريم غضنفا

مولده ونشأته

ولد الدكتور محمد محمد السماحي في ٩ من مارس ١٩٠٧ م في قرية برج البرلس مركز البرلس غربية . وهي الآن تابعة لمحافظة كفر الشيخ . وقد نشأ رحمه الله في بيئة دينية . حيث كان أبوه الشيخ محمد السماحي من علماء الأزهر . وكان اماما ومدرسا ومفتيا للبلد . رحمه الله .. كما أن أخاه الشيخ علي السماحي كان أزهريا حافظا للقرآن .

حفظ القرآن في القرية قبل أن يلتحق بالأزهر مع تجويده . فقد كان من محاسن المحفظ أن يحفظ القرآن مجودا . فمن أتم الحفظ أصبح ملما بأحكام التجويد والآداء .

ثم التحق بالأزهر فقصى دراسته الأولية في معهد دسوق الديني . بعدها انتقل الى طنطا للدراسة الثانوية الازهرية . واتصف في هذه المرحلة بالجد والاجتهاد في الدراسة . كما أنه كان مثالا للأخلاق الفاضلة والسلوك الطيب .. كان معروفا بذلك بين أساتذته وإخوانه طوال حياته .

ثم التحق بكلية الشريعة الاسلامية في بداية إنشائها . وكان يقضى كل وقته في طلب العلم . وفي عطلات الصيف بخاصة شهر رمضان المبارك كان يحرص على مجالس علم يعقدها يدرس فيها الدين لأهل قريته في المسجد ، وعلى إقامة ندوات دينية وإلقاء خطبة الجمعة (١) .

قدر الله

ولما كان في السنة الرابعة من كلية الشريعة . نجح في كل العلوم بتفوق عدا علما واحدا هو أصول الفقه . فقد أراد الله - لحكمته - أن تقل درجة الشيخ في هذا

(١) المعلومات الخاصة بحياة الشيخ حصلت عليها من أخيه الشيخ علي السماحي . والخاصة بالمؤلفات فقد حصلت عليها من صهره الشيخ احمد جابر بإدارة البعوث .

العلم درجة واحدة عن النهاية الصغرى . حيث حصل فى الامتحان الشفهى للعلم على تسع درجات فقط وكان النجاح فيه من عشر درجات . وكأن الله أراد بذلك أن يحتبسه هذه السنة ليلتحق بتخصص الاستاذية (الدكتوراه للتدريس فى الكليات) والذى لم يكن قد أنشئ بعد . وأنشئ فى السنة التالية وقد كان من أكبر رغباته أن يكون محصلا لا كبر قسط من العلم فى هذا التخصص ليعمل مدرسا بالجامعة . وقد كان هذا سببا جعل زملاءه الذين نجحوا فى السنة الماضية يعجبون أولا لتخلفه عنهم مع تفوقه المشهور . ويتمنون ثانيا لو تخلفوا معه ليلتحقوا بهذا القسم الجديد . والذى أكرمه الله بالالتحاق به . والتخصص الوحيد الذى كان موجودا ومتاحا هو تخصص إجازة التدريس فى المعاهد . وكانت مدة الدراسة به سنتين .

بين الشريعة وأصول الدين

كانت مدة الدراسة بقسم الاستاذية ست سنوات . أربع منها دراسية (دراسات عليا) وستان للدكتوراه وقد أنهى دراسته بالتخصص بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . فقد كان القانون يسمح لمن حصل على عالية الشريعة أن يلتحق بقسم التفسير والحديث بكلية أصول الدين . والذى حصل منه على الاستاذية سنة ١٩٤٤ . وبذلك جمع الشيخ بين علوم الشريعة وعلوم أصول الدين حسب رغبته واتجاهه الطيب . ثم عين مدرسا للتفسير والحديث بكلية أصول الدين . وبعد عدة سنوات أعير الى المملكة الليبية مدرسا للعلوم الدينية هناك لسنوات أخرى .

أسفاره

قضى عدة سنوات فى ليبيا بعدها عاد الى كلية أصول الدين وليس هناك من يعرف بالتحديد مدة الاسفار الأولى وتواريخها . ولكن تمت معلومات تفيد بأنه سافر الى ليبيا فى ١٧ ديسمبر ١٩٦٥ حتى ٣٠ سبتمبر ١٩٦٨ وربما كانت هذه سفرة أخرى غير الأولى ولما عاد الى الكلية عين رئيسا لقسم الحديث بالكلية . وبعد حين سافر الى المملكة العربية السعودية مدرسا للحديث النبوى بالدراسات العليا بمكة

المكرمة سنة ١٩٧١ ، ١٩٧٢ وعاد منها فى ٩ مارس ١٩٧٢ حيث أُحيل الى المعاش ويبدو أنه قضى هناك فترة أخرى بعد الاحالة إلى المعاش حتى عاد مريضاً فى ١٩٧٤ .

من مواقفه

لم يكن الرجل يسعى لنيل شهرة ولا منصب دنيوى . فقد كان خادماً للعلم . وحسبه ذلك وهذا يفسر لنا بعض مواقفه الجريئة فى قول الحق ولو خالف ذلك رؤسائه . وقد خشى عليه كثيرون تشدده فى هذه المواقف . الا أنه لم يكن ليبالى بما يجره عليه جهره بالحق . ولكن الله حفظه ونسرد هنا بعض مواقفه .

لما كان فى ليبيا حضر ندوة علمية . وكان أحد رؤسائه يحاضر فيها . فقال بعض آراء تخالف ما عليه الجمهور . فما كان من الشيخ الا أن أعلن الرأى الصحيح . وهو مخالف طبعاً لرأى المتحدث . ولم يمنعه من الجهر بالحق لومة لائم .

آثاره

حين نتحدث عن آثار الشيخ السماحى يأخذنا العجب إذا علمنا أن ما طبع منها أقل من نصف ما لم يطبع .. وما طبع منها يندر الحصول على نسخ منه الآن ونخشى تراث الشيخ المخطوط أن يلفه النسيان ونسأل الله أن يوفق من يعمل على إصدار بعضه خدمة للعلم . وهذه هى مؤلفاته :

١ - المنهج الحديث فى علوم الحديث . قسم مصطلح الحديث (طبع) ويحوى أكثر من خمسمائة صفحة من الأدب الوسيط . وهو خاص بالحديث وأطواره التاريخية . قال فى مقدمته :

أما بعد فلما كان حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثابة الشرح لكتاب الله تعالى ، والحكم فيما اختلف فيه من احتمالاته . أردت أن أضع دراسة تتعلق ببيان عناية الأمة

الى اليوم . وبيان خصائصه ومصطلح أهله لتكون دستوراً لى أرجع إليه فيما يعرض لى من مشكلات تتعلق بحديث الرسول صلى الله عليه وسلم . وأقف منه على مدى الاعتماد عليه فيما يعن لى من حلول فى المسائل الاجتماعية التى تتعلق بالاصلاح الفردى والجماعى فى هذه الحياة الصاخبة بالمبادئ والآراء . وقد استخرته تعالى فى ترتيبها وتنسيقها ترتيباً وتنسيقاً يربطها برباط محكم حديث وينظمها فى أسلوب فذ جديد وقد سميتها : (المنهج الحديث فى علوم الحديث) . وقد طبع الكتاب سنة ١٣٧٧ هـ وهو ثلاثة أقسام وقسم مصطلح الحديث ، قسم الرواية وقسم الرواة .

٢ - المنهج الحديث فى علوم الحديث .. قسم تاريخ الحديث . وهو ثلاثة أجزاء الأول عن الحديث فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته (طبع) والثانى عن الحديث فى عصر التابعين وتابعيهم (لم يطبع) والثالث عن تدوين الحديث واعلام المؤمنين فيه (لم يطبع) .

٣ - غيث المستغيث فى مصطلح الحديث (طبع)
٤ - المعلم بشرح المختار من صحيحى البخارى ومسلم (طبع) .
٥ - أبوهريرة فى الميزان . فيه تمحيص لتاريخ أبى هريرة ، وتفنيده ما ألصق به من مفتريات الملحدين والمستشرقين وأذنا بهم على ضوء البحث العلمى الصحيح ، والنقد التحليلى الدقيق . وهو رد على (محمود أبى رية) الذى طعن فى روايات أبى هريرة لكثرة الرواية عنه (طبع) .

٦ - القرآن الكريم والقضايا الانسانية الكبرى وبينات الكتاب المعجز . تضمن عدة أقسام
(أ -) الرسالة المحمدية وعمومها وختمها (ب -) اثبات وجود الله تعالى على ضوء العلم .
(ج -) اثبات توحيد الله تعالى ذاتاً وعبادة (د -) اثبات البعث والجزاء الآخري (هـ -) المنهج الاصلاحى للفرد وللجماعة (لم يطبع) .

٧ - آيات اللوهية فى القرآن الكريم (لم يطبع)
٨ - التأمين من الزاوية الاسلامية (لم يطبع) .
٩ - فى ظلال الاسلام . سلسلة من الرسائل حول : الدراسات الاقتصادية - التأمين المصارف - المعاش (لم يطبع) .

١٠ - تفسير القرآن الكريم حسب النزول . وانتهى إلى قوله تعالى : (وقيل الحمد لله رب العالمين) نهاية الزمر (لم يطبع)

وعدا ذلك فقد كتب مذكرات في شرح بعض الاحاديث التي اختارها لتدرس لطلبة كلية أصول الدين . والتي شرحها شرحا مستفيضا .

كما أنه قد كتب عدة مقالات حول (ابن تيمية يرد على ابن تيمية) كانت تطبع لتوضع في ايدي طلبة كلية الشريعة بمكة المكرمة ليعرف الطلبة منها حقيقة ماينسبه بعض العلماء الى ابن تيمية . فكان الشيخ يأخذ المسألة التي يتداولونها من علمائهم عن ابن تيمية ويقارنها بما يروها من كتب ابن تيمية نفسه .

ومن استعراض تلك المؤلفات نرى كيف أن الشيخ قد وهب حياته للقرآن الكريم ولللسنة والدفاع عنهما ضد مكائد الكائدين وسموم الحاقدين .

شيوخه وتلاميذه

لأنسى هنا أن نذكر بعض شيوخ الدكتور السماحي وبعض تلاميذه . فقد كان من شيوخه في الدراسات العليا فضيلة الشيخ محمد الأودن (رحمه الله) مدرس الحديث بكلية أصول الدين كما أن فضيلة الشيخ الخضر حسين كان من أساتذته في القسم . وأما تلامذته فكثيرون من مختلف البلاد والاقطار الاسلامية .

ونهلوا من علم الرجل في الجامعة ، ومن كتبه المطبوعة وقد ظلت حياته رحلة موصولة في الجهاد العلمي حتى لقي ربه في أوائل ذي الحجة ١٤٠٤ وقد كتب عنه أحد تلامذته من محدثي الديار الشامية نور الدين عتر في مقدمة أحد كتبه .»

فسلام عليه مع الصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا .